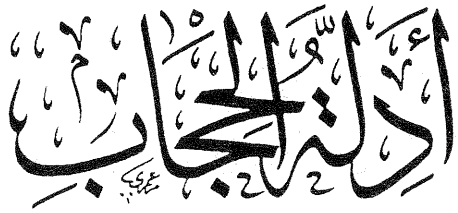
أدلة الحجاب

أدلة الحجاب

بحث جامع لفضائل الحجاب وأدلة وجوبه والرد على من أباح السفور

تأليف
الدكتور محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم

دار الأيمان
للطبع والنشر والتوزيع
الإسكندرية ٥٤٥٧٧٦٩

دار الأمة
لتوزيع الكتاب والشريط الإسلامي
فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

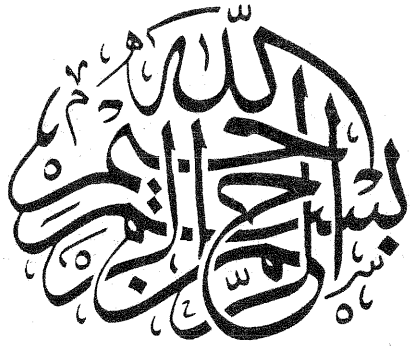
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة هذه الطبعة

الحمد لله كما ينبغي لجلاله، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وآله.

أما بعد:

❑ فلا تزال قضية «الحجاب والسفور» تستقطب اهتمام المصنفين منذ فَتح بابَها «قاسم أمين» حتى اليوم، ولا تزال المطابع تقذف بالجديد من الإصدارات حول هذا الموضوع بين مؤيد ومُعارض، والجديد في هذا «الجديد» أن بعض المصنفين من داخل الصف الإسلامي خاضوا فيه بأسلوب ينتهي إلي موافقة «قاسم أمين» في القول بإباحة السفور، وإن سلكوا - لإثبات ذلك - مسلكًا يتنزه عن المقاصد الرديئة التي تلطخ بها «قاسم أمين» وشيعته من بعده، لكنه لم يسلم - في الوقت نفسه- من بعض التحفظات:

أولها: أن بعض المصنفين طوعت لهم أنفسهم استعمال مصطلحات «دخيلة» على الوسط العلمي، لم يُعهد إطلاقها إلا في سياق الخطاب العالماني الذي درج على وصف المتشرعين بالتطرف، والتشدد، والغلو، والتعصب.

الثاني: ضعف الملكة الفقهية، وغياب «الحِسِّ» الفقهي عند ربط حكم الحجاب بواقع المجتمعات الإسلامية المعاصر:

❑ فهذا أحدهم يضيق ذرعًا بإعمال فقهاء المذاهب المتأخرين قاعدة «سد الذرائع» في هذه المسألة، قائلًا: «..حتى اشترطوا ذلك الشرط العجيب الذي لم يدل عليه دليل من كتاب ولا سنة، ألا وهو: شرط أمن الفتنة» اهـ.

❑ وهذا أحدهم يبالغ في إهمال قاعدة «سد الذرائع» إلى حد القول بإباحة كشف الوجه والكفين من المرأة الجميلة، ولو خُشيت الفتنة، باعتبار السفور حقًّا مشروعًا لها.

❑ كما أنهم لا يراعون عواقب مذهبهم حيث إن هناك كمًّا هائلًا ممن يضقن بالحجاب الشرعي من ضعيفات الإيمان، يتربصن في انتظار الإشارة «الصفراء» التي تبيح لهن المرور إلى مرحلة السفور لتضيء في إثرها الإشارة «الخضراء» فينطلقن زرافاتٍ ووحدانًا إلى التبرج والتهتك في أبشع صوره، كما حدث في بعض البلاد الإسلامية، والتاريخ يعيد نفسه، والسفور مطية الفجور.

الثالث: أن هذه المصنفات موجهة أساسًا إلى المنقبات، وليس إلي المتبرجات، وتكاد تنحصر غايتها في حمل المنقبة على السفور، وليس هداية المتبرجة إلى الحجاب.

الرابع: إهمال بعض أدلة المخالف، والإعراض عنها، وبخاصة فقه بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالحجاب رغم وضوح دلالتها على وجوب الحجاب الكامل.

الخامس: التركيز على نسبة القول بوجوب النقاب إلى المعاصرين من العلماء والدعاة وطلبة العلم، والانبساط في نقدهم ووصفهم بالتشدد والغلو والتعصب مع حجب أسماء الأئمة السابقين الذين نصروا هذا المذهب وتبنوه، بحيث يخيل للقاصر في العلم أن هذا مذهب مُحْدَث ليس من السلف ولا الأئمة من قال به، وأنه من بنات أفكار «المتطرفين» !

السادس: غلبة ملامح «الغرور العلمي» على بعض المصنفين الذين يشتطون في دمغ مخالفيهم بأوصاف كريهة منفرة، ويسرفون في تحقيرهم، وطرحهم أرضًا الواحد تلو الآخر، وكأن الترجيح بين الآراء يعتمد على كم الشتائم والازدراء والتعالي على المخالف، ولو كان من العلماء العاملين، والهداة المهتدين، غافلين عن أنهم بهذا المسلك يقدمون لطلاب العلم أسوة تُحتذى، وأنموذجًا يُقتدى به، ونحن لا ننكر أن في المسألة خلافًا قديمًا، ولكن الذي ننكره هو الحيدة عن «أخلاقيات الخلاف» التي التزمها الأئمة

المهديون في كل عصر ومصر.

السابع: أن بعضهم يعمد إلى المختلفين في المسألة فيقسمهم إلى طرفين ووسط، بحيث يحتكر لرأيه منذ البداية الوسطية والاعتدال، ومن خالفه إما غالٍ مُفْرِط، وإما جافٍ مُفَرِّط.

❑ إن ظاهرة «القسمة الثلاثية» هذه تعني التحكم بالعاطفة في قضايا الخلاف الفقهي السائغ الذي لا يجوز فيه رمي المخالف بالبدعة والضلالة والتشدد..إلخ، كما أنها تعني مصادرة آراء المخالفين منذ البداية، لأن صاحب هذا المسلك - وبهذا الأسلوب العاطفي -يبدو وكأنه يسوق الناس بعصاه لتبني مذهبه «المحتَّم»، فهو يقول: «ليس لكم أن تبيحوا التبرج لأنه تفريط وجفاء، وليس لكم أن توجبوا النقاب لأن القول بالوجوب إفراط وتشدد، وغلو وتعصب، وبما أن «كلا طرفي قصد الأمور ذميم»، إذن فلا مناص لكم من السبيل الأوحد الذي يحتكر الوسطية والاعتدال، والذي لا بديل له ألا وهو القول بإباحة السفور».

☆ وهاك أمثلة لظاهرة«القسمة الثلاثية» تشي بها عناوين بعض الكتب:

الأول: «الرد المفحم على من خالف العلماء، وتشدد، وتعصب، وألزم المرأة أن تستر وجهها وكفيها، وأوجب، ولم يقنع بقولهم: إنه سنة ومستحب»[1].

الثاني: «النقاب للمرأة: بين القول ببدعيته، والقول بوجوبه».

الثالث: «الحجاب بين الإفراط والتفريط».

---

(١) ومفهوم هذا العنوان إخراج كل مخالف -في القديم والحديث-من زمرة العلماء، ويؤخذ منه رمي العلماء القائلين بوجوب الحجاب الكامل بالتشدد، والتعصب، كابن تيمية وابن القيم وعشراتٍ غيرهما، ويفهم من نسبة «الإلزام» إليهم أنهم يتكلمون بالظن وما تهوى أنفسهم، ولا يبنون مذهبهم على أدلة القرآن والسنة.

ويبقى في هذه العجالة تنبيهان:

الأول: وهي مسألة دقيقة لا يتفطن إليها من «يحتار» بين الأقوال والأدلة المتعارضة في المسألة ؛ وينزعج من الخلاف فيها ؛ وهي أن مسائل الفقه ليست كلها على درجة واحدة من الوضوح والحسم في حكمها، فالألفاظ منها واضح الدلالة كالظاهر، والنص، والمفسر، والمحكم، ومنها غير واضح الدلالة كالمتشابه، والمجمل، والمشكل، والخفي، وأنه لا يشترط أن يقوم دليل قطعي على كل مسألة، بل أغلب مسائل الفقه ظنية، وإن الاجتهاد كما يجري في «ثبوت النص» كذلك يجري في «دلالته»، وأن المسائل الفقهية الخلافية يتم الترجيح فيها بالنظر في مجموع الأدلة، وليس في طائفة منها، وأن ضعف الدليل لا يستلزم ضعف المدلول، بمعنى أن صاحب المذهب الراجح قد يكون في ضمن أدلته دليل ضعيف من حيث ثبوته، أو من حيث دلالته، دون أن يقدح هذا في ترجيح مذهبه بالنظر إلى مجموع الأدلة التي استند إليها.

الثاني: أننا يجب أن نتلقى الحكم الشرعي الراجح بصدور منشرحة، وتسليم مطلق، وثقة كاملة بأن شريعة الله فيها صلاحنا وخيرنا، وأن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، وأنه لا تخلو عبادة من مشقة معتادة، ومجاهدة للنفس، غير أن هذه المشقة إذا زادت وتضاعفت وصارت فوق الاحتمال، فهنا تأتي الرخصة الشرعية رفعًا للحرج، ودفعًا للعنت، وتيسيرًا على المكلفين، وأن على الباحث في المسألة أن يفرق بين «الحكم الشرعي» الأصلي الذي نستنبطه من الأدلة بتجرد، ونزاهة، وبين «الفتوى» التي تعتمد على المواءمة بين الحكم الشرعي وظروف المستفتي الخاصة أو الطارئة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الإسكندرية في السبت ٢٨ صفر ١٤٢٣هـ

الموافق ١١مايو ٢٠٠٢م

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء : ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

من نافلة القول أن نربط بين «عودة الحجاب» إلى وجوه المسلمات وبين الصحوة الإسلامية الناهضة التي أشرق بنورها كثير من البلاد الإسلامية ومنها «مصر»، فقد فرضت قضية «حكم النقاب» نفسها في واقعنا الفكري المعاصر بعد أن خُيِّل إلى الجميع أن مثل هذه المفاهيم، بل «التقاليد»[1] -

---

(١) راجع «معركة الحجاب والسفور» للمؤلف (١٩٦ - ١٩٧) هامش رقم (٣٩٦).

في زعمهم - قد ولَّت إلى غير رجعة.

أجل! حدث هذا في أعقاب الصحوة الإسلامية القائمة على الأصالة، والاقتباس من منابع ديننا الحنيف الذي حملت رسالته، وحفظت أمانتَه هذه الأمةُ طيلة اثني عشر قرنًا من الزمان - قبل طروء الغزو الفكري - فكان أن امتزجت به مشاعرها، وجرت في سبيله دماؤها، وأصبح هو حياتها وفكرها، ومبدأها ومعادها، ونبض قلوبها.

لقد تتابعت الحملات العسكرية ثم الفكرية للقضاء على هذا الدين وأهله، وخُيِّل إلى أعداء الإسلام أن الأمة مجتمعة قد استجابت لجهودهم، وأزمعت أن تُوَدِّعَ الإسلام نهائيًّا إلى غير رجعة.

وإذا بالطائفة الظاهرة المنصورة من علماء الأمة الربانيين يتصدَّوْنَ عن وَعْي واقتدار في كل عصر ومِصْرٍ لأعداء الإسلام، ويبشرون الذين تسرب اليأس إلى قلوبهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقوله عز وجل: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]، وقوله جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يوسف: ٢١].

ويوبخون أعداء الله بقوله جل وعز: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الكهف: ١٠٢].

وإذا بشباب في ريعان الصبا، وفتياتٍ في عمر الورود ينسابون من كل حدب وصوب، ينضمون إلى ركب الإيمان، ينادون بالعودة إلى كتاب الله وتحكيم شرعه، حاملين أنفسَهم وأنفاسَهم وأموالهم وأوقاتهم وزهرات شبابهم على أكفهم، باذلين ذلك كله في سبيل إعلاء كلمة الله، متحملين العذاب، والاضطهاد، والتشريد، والتنكيل، واثقين بوعد الله، موقنين أن الشهداء والأسرى والمعذبين معالم على طريق النصر والتمكين.

لقد تجاوبت الآفاق بأصداء دعائهم: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾ [آل عمران: ١٩٣]، حين ردَّدها شباب تركيا، والباكستان، وأفغانستان، ومصر، وجزيرة العرب، والشام، والمغرب، والسودان، وسائر الديار الإسلامية، بل في أعماق أوربة وأمريكا، وراحوا ينهلون من كتاب الله سبحانه، وسنة رسول الله ﷺ، وقد وجهوا قلوبهم ووجوههم من جديد - بعد حيرة واغتراب - شطر البيت العتيق، وولَّوْا ظهورَهم (لِلْقُلَّيْس)[1] قبلةِ الضرار التي أقامها «أبرهة»[2] روسيا، و«أبرهة» أمريكا في «موسكو» و «واشنطن»، والتي قام على سدانتها، وتسيير الوفود نحوها «آباءُ رِغال»[3] عصرنا.

لقد وَلَّوْها ظهورهم عملًا بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠].

لقد أذهلت الصحوة الإسلامية أعداء الإسلام، فأخذوا يرقصون رقصة الموت التي يحاول فيها الذبيح باستماتة كأنه يحارب معركته الأخيرة، وما هي إلا «صحوة الموت» الزؤام أمام «صحوة البعث»

---

(١) القُلَّيْسُ: اسم كنيسة بناها بصنعاء «أبرهة الأشرم» لم يُرَ مثلُها بشيء من الأرض، وأراد أن يصرف إليها حَجّ العرب. (البداية والنهاية) للحافظ ابن كثير (٢/١٧٠)، والإشارة هنا إلى «الكرملين» و «الكونجرس» وغيرهما.

(٢) أبرهة الحبشي ملك اليمن، وهو الذي قاد أصحاب الفيل لهدم الكعبة.

(٣) أبو رغال: هو الرجل الذي بعثته ثقيف مع أبرهة ليدله على طريق مكة كي يهدم البيت الحرام، فلما أنزله بالمُغَمَّس - موضع قرب مكة في طريق الطائف - مات أبو رِغالٍ هنالك، فرجمت قبره العربُ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمُغَمَّس، وفيه قال جرير:

إذا مات الفرزدق فارجموه كرجمكم لقبر أبي رغال

انظر «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٢/ ١٧١)، و «الأعلام» للزركلي (٥/ ١٩٨).

الإسلامي المرتقب[1].

(١) ومن مظاهر ذلك تصريحات لساستهم تعكس هذا الرعب والفزع من «عودة الإسلام» من جديد؛ يقول «حاييم هيرتزوج» السفير اليهودي السابق لدى «الأمم المتحدة»:

(إن ظهور حركة اليقظة الإسلامية بهذه الصورة المفاجئة المذهلة قد أظهر بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية، وقبل هؤلاء جميعًا وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت تغط في سبات عميق) اهـ. من صحيفة الـ «جيروزالم بوست» الصِّهيونية بتاريخ(٢٥/٩/١٩٧٨م) - نقلًا عن «الاتجاهات الفكرية المعاصرة» للدكتور على جريشة هامش ص(١١).

* وهذا راديو إسرائيل يبث في تعليق سياسي: (إن عودة الروح الدينية للظهور من جديد في المنطقة يشكل تهديدًا مباشرًا لمستقبل إسرائيل، ولمستقبل الحضارة الغربية بأسرها) اهـ. بصوت معلق إذاعة إسرائيل للشئون السياسية الساعة العاشرة والربع مساء يوم (٥/٩/١٩٧٨م) نقلًا عن «الاتجاهات الفكرية المعاصرة» هامش ص (١٢).

* وهذا «ابن جوريون» يرتجف قائلًا:

(نحن لا نخشى الاشتراكيات، ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلًا، وبدأ يتململ من جديد اهـ. - نقلًا عن «أجنحة المكر الثلاثة» للأستاذ عبد الرحمن حبنكة ص (١٣١).

وقال أيضًا في «الكنيست»: اصبروا، فلن يكون هناك سلام لإسرائيل ما دام العرب تحت قيادة الرجعيين، إن الشرط الأساسي للسلام هو أن يقوم في البلدان العربية حكومات ديمقراطية تقدمية متحررة من التقاليد الإسلامية اهـ.

انظر «القسم الأول» ص (٨٢).

* وهذا «شعيا بومان» - كاتب يهودي - يصيح في هَلَع وفَزَع:

إن على أوربة أن تظل خائفة من الإسلام، ذلك الدينَ الذيَ ظهر في مكة لم يضعف من الناحية العددية، بل هو في ازدياد واتساع، ثم إن الإسلام ليس دينًا فحسب، بل إن من أهم أركانه الجهاد، وهذا ما يجب أن تتنبه له أوربا جيدًا) اهـ. من «أجنحة المكر الثلاثة» ص (١٣١).

ومن الجدير بالذكر أن أحد أعضاء الكنيست اليهودي علق على أحداث الانتفاضة الإسلامية في فلسطين مؤخرًا بقوله: =

. . . . . .

= إننا نواجه نوعًا جديدًا من البشر لم يكن موجودًا من قبل، رجال يقبلون على الموت بقدر ما نريد نحن الحياة اهـ.

* انظر «الاعتصام» عدد جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ - فبراير ١٩٨٨م ص (١٢).

* ويقول المُنصِّر «لورنس براون»: (لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد الاختبار لم نجد مبررًا لمثل هذه المخاوف؛ لقد كنا نُخَوَّف من قبل بالخطر اليهودي، وبالخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي، إلا أن هذا التخوف كله لم يتفق كما تخيلناه، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا فكل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفر فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها، ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي) اهـ. من «أجنحة المكر الثلاثة» ص (٦٧).

* وجاء في صحيفة (أحرونوت) الإسرائيلية:

(إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عامًا، ويجب أن يبقى الإسلام بعيدًا عن المعركة إلى الأبد، ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل، وبأي أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا) اهـ.

* من صحيفة «أحرنوت» اليهودية بتاريخ (١٨/ ٣/ ١٩٧٨م) نقلًا عن «الاتجاهات الفكرية المعاصرة» هامش ص (١٢).

* ويقول المستشرق شاتلي»

إذا أردتم أن تغزوا الإسلام، وتخضدوا شوكته، وتقضوا على هذه العقيدة التي قضت على كل العقائد السابقة واللاحقة لها، والتي كانت السبب الأول والرئيسي لاعتزاز المسلمين وشموخهم، وسبب سيادتهم وغزوهم للعالم، عليكم أن توجهوا جهود هدمكم إلى نفوس الشباب المسلم والأمة الإسلامية بإماتة روح الاعتزاز بماضيهم، وكتابهم القرآن، وتحويلهم عن كل ذلك بواسطة نشر ثقافتكم وتاريخكم، ونشر روح الإباحية، وتوفير عوامل الهدم المعنوي، وحتى=

وما أكثر الإرهاصات التي تبشر باقتراب الوعد الحق الذي وعد الله عباده المؤمنين في قوله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٩].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهبُ الليلُ والنهار حتى تُعْبد اللات والعزى**»، قالت: قلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾، أن ذلك تام، قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله**»[1] الحديث.

ومما يوضح هذه البشارة:

ما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**إن الله زَوَى[2] لي الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مُلْكُها ما زُوِيَ لي منها**»[3] الحديث.

= لو لم نجد إلا المغفلين منهم والسذج البسطاء لكفانا ذلك؛ لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها في القطع أحد أغصانها اهـ.

من «غزو«العالم الإسلامي» للمستشرق «شاتلي» ص ٢٦٤) - نقلًا عن «أجنحة المكر الثلاثة».

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٠٧) في «الفتن» باب «لا تقوم الساعة حتى تعبد دَوْس ذا الخلصة» (٨/ ١٨٢)، والحاكم (٤/ ٤٤٦، ٤٤٧، ٥٤٩)، وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه اهـ.

قال الألباني رحمه الله: (في هذا الحديث بيان أن الظهور المذكور في الآية لم يتحقق بتمامه، وإنما يتحقق في المستقبل، ومما لا شك فيه أن دائرة الظهور اتسعت بعد وفاته ﷺ في زمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، ولا يكون التمام إلا بسيطرة والإسلام على جميع الكرة الأرضية، وسيتحقق هذا قطعًا لإخبار رسول الله ﷺ بذلك) اهـ. من «تحذير الساجد» ص (١٧٣).

(٢) أي: جمع وضمَّ.

(٣) رواه مسلم (٨/ ١٧١)، رقم (٢٨٨٩) في الفتن، باب «هلاك هذه الأمة =

وما رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخله الله هذا الدينَ، بِعِزِّ عزيزٍ، أو بِذُلِّ ذليل، عِزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًّا يذل به الكفر**»(١).

إن واقع الصحوة الإسلامية العالمية اليوم يبشر بأنها أخذت تقترب شيئًا فشيئًا من الموعد المرتقب الذي بَشَّر به رسول الله ﷺ في قوله: «**ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»(٢).

=بعضهم ببعض»، وأبو داود رقم (٤٢٥٢) في الفتن «باب ذكر الفتن ودلائلها».
والترمذي رقم (٢١٧٦) في الفتن، باب «ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثًا في أمته»، وابن ماجه في الفتن باب «ما يكون من الفتن» رقم (٤٠١٦).
والإمام أحمد (٥/ ٢٧٨، ٢٨٤) من حديث ثوبان رضي الله عنه.
والإمام أحمد أيضًا من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه (٤/ ١٢٣).

(١) رواه من حديث تميم الداري رضي الله عنه مرفوعًا الإمام أحمد (٤/ ١٠٣)، ورواه أيضًا عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه مرفوعًا (٦/ ٤) ولفظه: «**لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله عز وجل فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها**»، والحاكم (٤/ ٤٣٠- ٤٣١)، قال الحاكم: (صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي، وهو على شرط مسلم وحده.
و(المَدَرُ): المدن والحَضَر، و(الوَبَرُ): صوف الإبل والأرانب ونحوها.

(٢) جزء من حديث رواه الإمام أحمد (٤/ ٢٧٣).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٩): (رواه أحمد والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في «الأوسط» ورجاله ثقات) اهـ.
عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًّا فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت**».

وآية ذلك أنك ترى الشباب يترقى رويدًا رويدًا ليصل إلى «منهاج النبوة» فهاهم يقيمون دعوتهم على أصل الأصول في دعوة الأنبياء والمرسلين ألا وهو توحيد الله سبحانه، والبراءة من الشرك، وتحرير ولائهم لله ورسوله والمؤمنين، ومنابذة أعداء «لا إله إلا الله» والبراءة منهم، والدعوة إلى التوحيد، ونشر عقيدة «أهل السنة والجماعة»، كل ذلك يحتل مساحة شاسعة من خريطة دعوتهم، أليس هذا هو جوهر «منهاج النبوة» ولبه وقطب رحاه؟

* وهاهم يحيون الدعوة إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الصحيحة في كل ما يعرض لهم من قضايا ومشكلات.

* وهاهم يجددون الدعوة إلى نبذ الفرقة والاختلاف، والاعتصام بحبل الله والائتلاف بالتمسك بالسنة، والبراءة من البدعة.

* وهاهم ينفضون الغبار عن تراثهم، ويُحْيُونَ مفاهيم السلف الصالح رضي الله عنهم، ويجتهدون في أن «يترقَوْا» إلى منهج السلف الصالح، وأن «يَتَسَامَوْا» إلى أخلاقهم وعبادتهم وجهادهم، وأن «يتقدموا» إلى تصوراتهم التي تلقوها من مشكاة النبوة الخاتمة دونما كدر ولا دَخَن.

أليست هذه أهم خصائص «منهاج النبوة»؟!

لقد أوْلى الإسلام المرأة اهتمامًا بليغًا، وَبَوَّأها مكانة سامقة، وكرَّمها أعظم تكريم، وكيف تفاعلت بهذا كُلِّه، فمارست دَوْرَها العظيم، وخلَّفت لنا تاريخًا حافلًا بسيرتها العطرة كأم وزوجة وابنة، وكمؤمنة مجاهدة صابرة، وكعالمة فقيهة محدثة، وكعابدة خاشعة قانتة، حتى بان للجميع ما الذي كان يخفيه الحجاب، وماذا كان يدور خلف الخدور؟

إنها الثمرات المباركات التي جنتها الأمة من وراء الحجاب، إنه الشرف العزيز الذي صانه الحجاب، وإن هؤلاء هُنَّ خريجات «مدرسة الحجاب» قبل أن تعرف الدنيا مدرسة، وقبل أن يطرق سمعها «حقوق المرأة وتكريمها».

لقد كان من القضايا التي واجهت الصحوة الإسلامية «قضية المرأة» تلك القضية ذات الارتباط الوثيق بالنظام الاجتماعي في الإسلام، والتي يتفرع عنها مسائل تعليمها، وعملها، وحجابها..

وحول هذا الأخير نشأ الجدل، وثارت التساؤلات ما بين مخلص حائر يبحث عن الحق، وبين مغرض مجادل في الحق بعد ما تبين.

من هنا احتدم الجدال حول «**حكم تغطية المرأة وجهها وكفيها عن الرجال الأجانب عنها، وهل ذلك فرض أم فضل؟**».

* فمن قائل: إن النقاب بدعة تركية، أو مملوكية، أو فارسية إيرانية.
* ومن قائل: إنه رجعية جاهلية.
* ومن قائل: إنه بدعة وتنطع يأباه دين الإسلام... إلخ.
* بل ذهب بعض المضلين إلى الإفتاء بأن العلماء مجمعون على بدعيته، و«براءة» الإسلام منه!!

لقد راجت هذه القضية في توقيت لافت للنظر، من حيث اقترانُه بأحداث سياسية جذرية، وتحركات فكرية عَلمانية، وحملات قمع محمومة، وإجراءات تعسفية[1] حاول الساسة من خلالها إخفاء هزيمتهم النفسية أمام الصحوة الإسلامية الجارفة، وخنق هذه الدعوة الناشئة، ووأدها في مهدها.

---

(١) ووصل الأمر في تركيا - مثلًا - إلى حَدِّ أن الحكومة هناك لم تكتف بمطاردة المحجبات داخل تركيا، حتى (تقدم السفير التركي في ألمانيا الغربية بطلب إلى الحكومة الألمانية يطلب فيه منع الطالبات التركيات الدارسات في ألمانيا من ارتداء الحجاب، غير أن ردَّ وزارة الخارجية الألمانية كان بمثابة صفعة قوية إذ أجابت بأن ألمانيا دولة علمانية، ولذا فهي لا تتدخل في الشئون الدينية للطلاب). اهـ.

من (المختار الإسلامي) - العدد (٥٨) - السنة الثامنة - ربيع أول ١٤٠٨هـ، نوفمبر ١٩٨٧م.

وكانت كل هذه الأحداث والتحركات والحملات والإجراءات تصب في مجرى العداء والخصومة للإسلام وللعاملين من أجله، ذلك المجرى الخبيث الذي أصبح من السمات الثابتة لخارطة الوقائع على طول القرن الحالي، والذي ازداد اندفاعه النكِد في العهود القريبة.

إذ طفت على السطح «فقاقيع» المتغربين، واعتلت المنابرَ الإعلامية وجوهٌ مشبوهة، وألسنة مسعورة سبق اختيارها بدقة وعناية، ثم دُفع بها إلى حلبة الإعلام لتؤدي دورها المرسوم سلفًا خدمةً للعديد من تيارات التدخل الدولي، أو التبعية المحلية، ولتسعى سعيًا حثيثًا دائبًا لتقليص مساحة هيمنة الإسلام على الحياة وتخطيطه لها، وتفريغه من مضمونه الرباني الشمولي.

من هنا كان لزامًا أن تُواجَهَ هذه الحملاتُ الخبيثة، وأن تُفْضَحَ هذه المؤمرات، وَتُكشَفَ أبعادُ قضية «تحرير المرأة» وخلفياتها لوضعها تحت منظار الفحص، وتعرية جذور وفروع هذا النبت الخبيث.

وقد تقدم بيان ذلك في كتاب «معركة الحجاب والسفور».

☆ والآن: جاء دور التفنيد والرد وبيان الأدلة وكشف الشبهات:

لقد حرَّر لفيف من الكُتَّابِ كثيرًا من المصنفات المطوَّلة، والرسائل المختصرة، حول «حكم كشف الوجه والكفين من المرأة»، وركَّز بعضهم على جانب من جوانب أدلته دون سائرها، فكأن كلا منها على حدة، لا يَشفي من القارىء المعاصر غُلَّةَ الصدى[1]، فتجاسر المقصِّر المذنب، المتعرض لما لا يطيق، وتطفَّل على مائدة أولئك الأفاضل، وحاول جهده أن يجمع من كتبهم ورسائلهم مجموعًا يؤلف بينها، ويلم شعثها، ويجمع شتاتها، ويستوعب ذكر أدلتها، ويدفع شُبَه المخالفين لها، في صحيفة

---

(١) الصدى: العطش.

كاملة، ورقيمة حافلة.

فشرعت منذ سنوات طوال أحاول الإنجاز والإتمام، لكن يعوقني القصور والتقصير، فظللت بين إقدام وإحجام، حتى مَنَّ الكريم المتعال بإخراج كتابين، الأول: «معركة الحجاب والسفور»، والثاني: «المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية»، وهما كالتوطئة والتمهيد، لهذا الثالث المقصود.

ثم جمعت - حسبما تمكنت، وقدر ما تَحَصَّلْتُ - آياتٍ بينات، وأحاديثَ شريفاتٍ، وأخبارًا نيرات في موضوع البحث، مع تفسيرها الذي حرَّره العلماء الفحول، وشرحِها الذي حبَّره أئمة المنقول، وأذعن له جمهورهم بالتلقي والقبول، ضامًّا إلى ذلك من مقالات أهل العلم المتقدمين منهم والمتأخرين ما وقفت عليه ، جامعًا لأشتات هذه الأبواب المتفرقة في الدواوين .

غير أن هذا المجموع مع كونه شَذَرَمَذَرَ، لفقده الترتيبَ المتقن والتهذيبَ المستحسن، لم يُوفِّ بالمقصود، لكنني حاولت من باب «سَدِّدوا، وقاربوا»، فما لا يُدْرَكُ كُلُّه لا يُتْرَكُ جُلُّه.

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا كنقص القادرين على التمامِ

***

هذا، وقد رتبتُ الكتاب على مقدمة، وستة أبواب، وخاتمة:

الباب الأول :

الفصل الأول : فتنة المرأة .

الفصل الثاني : احتياطات الإسلام لسد ذرائع الفتنة بالمرأة .

الباب الثاني :

الفصل الأول : معنى الحجاب ودرجاته .

الفصل الثاني : تاريخ الحجاب .

الباب الثالث :

الفصل الأول : فضائل الحجاب .

الفصل الثاني : مثالب التبرج .

الباب الرابع :

الفصل الأول : شروط الحجاب الشرعي .

الفصل الثاني : أين نحن من الحجاب الشرعي .

الباب الخامس : أدلة وجوب ستر الوجه والكفين :

الفصل الأول : أدلة القرآن الكريم .

الفصل الثاني : الأحاديث النبوية المتعلقة بحكم الحجاب .

الباب السادس :

الفصل الأول : شبهات وجوابها .

الفصل الثاني : نصوص علماء المذاهب الاربعة في حكم الحجاب .